من مناهج علماء شبه القارة الهندية فى بيان العقيدة الصحيحة: جهود الشيخ أحمد السرهندى نموذجا

Ulama of the Indian subcontinent and their approaches to explain the correct belief: The Contribution of Shaikh Ahmad Al-sarhandi as a Case Study

الدكتوره منزه بتول*

ABSTRACT:

Mujaddid-e-Alfi Sani Shaikh Ahmad al-Fārūqī al-Sirhindī (1564–1624) was an Indian Islamic scholar, a Hanafi jurist, and a prominent member of the Naqshbandī Sufi order. He has been described as a Mujaddid, meaning "the reviver" for his work in rejuvenating Islam and opposing the newly made religion of Din-i Ilahi and other dissident opinions of Mughal emperor Akbar. Shaikh Ahmad Sirhindi's teaching emphasized the inter-dependence of both the Sufi path and sharia, stating that "what is outside the path shown by the prophet is forbidden. Shaykh Ahmad Sirhindi advanced the notion of wahdat ash-shuhūd (oneness of appearance). According to this doctrine, the experience of unity between God and creation is purely subjective and occurs only in the mind of the Sufi who has reached the state of fana' fi Allah (to forget about everything except Almighty Allah). Sirhindi consi-dered wahdat ash-shuhūd to be superior to wahdat al-wujūd (oneness of being), which he understood to be a preliminary step on the way to the Absolute Truth.

Key words: Shaikh Ahmad al-Fārūqī, wahdat ash-shuhūd, wahdat al-wujūd.

يهدف هذاالبحث إبراز جهود العلماء المسلمين في شبه القارة الهندية في بيان العقيدة الإسلامية ودراسة مناهجهم عموما ودراسة جهود الشيخ أحمد السرهندى خصوصا. إعتنى علماء شبه القارة الهندية في نشر العلوم الدينية و خدمتها قديما و حديثا. و لقد بذلوا الجهود المباركة في بيان العقيدة الإسلامية وشرحها وفي الدعوة إليها. و لقد أدت هذه الجهود إلى نجاح الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة بحيث نجد أن المسلمين في شبه القارة يمثلون أكبر جالية إسلامية في العالم. ونجد أن كلما تعرضت العقيدة الإسلامية للهجوم الفكري من الداخل أو الخارج جعل الله سبحانه وتعالى من علماءنا من قام بالدفاع عن العقيدة الصحيحة و الرد على الشبهات حولها ولا يمكن حصر هذه الجهود في مثل هذه المحاولة الناقصة الضئيلة و لكنى حاولت أن أختارنموذجا من بين علماء شبه القارة ألا و هو جهود الشيخ أحمد السرهندى لما له من فضل السبق في هذاالمجال. و يتناول أولا ترجمة حيات الشيخ, ثانيا نبذة عن عصره وثالثا جهود الشيخ فى بيان العقيدة الصحيحة من خلال مكتوباته و مؤلفاته و من خلال المصادر التاريخية المعاصرة للشيخ و أخيرا تقييم جهود الشيخ و مدى تأثيره على الفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية.

ترجمة حيات الشيخ:

*Assistant Professor, Faculty of Usool-ud-Din, International Islamic University, Islamabad. Email: munazza.batool@iiu.edu.pk

هو الشيخ احمد بن عبد الاحد بن زين الدين الفاروقي[1] النقشبندي السرهندي المنسوب إلى سرهند مدينة تقع بين دلهي ولاهور و مولده ووفاته فيها و قد لقب بمجدد الألف الثاني للهجرة. يقول صاحب نزهة الخواطر مترجما له: الإمام العارف بحر الحقائق والإسرار, محي السنة النبوية برهان العارفين والمحققين وحجة الاولياء والمتقين آية من آيات الله العظام ونادرة من نوادرالأيام, أخذ بيد العلم لما زلت به القدم وكاد يهوى مهاوى العدم فكان مجدد الألف الثاني برهانا ساطعا على شرفية النوع الإنساني وهو احمد بن عبد الأحد السرهندي, ولد في بلدة سرهند في شوال 971 ه و 1563 م وتوفى سنة 1034 ه[2]۔

بدأ الشيخ دراساته بحفظ كتاب الله تعالى و قرأ على أبيه أولا واستفاد منه جما منالعلوم ثم ارتحل إلى سيالكوت وتتلمذ على يد الشيخ المحقق كمال الدين الكشميري بعض المقولات وأخذ الحديث من الشيخ يعقوب المحدث الكشميري وكان أكابر المحدثين بالحرمين الشرفين واسند الحديث عنهم[3]

نبذة عن عصره:

اتفق العلماء المسلمين والمؤرخون على أن الإمام السرهندي قام بالدورالرائع في الدفاع عن الدين ونصرته وصنع عهدا جديدا بما قام بالإصلاح واشتهر بلقب المجدد وظل ينوب هذااللقب عن إسمه فماهذاالتجديد والإصلاح؟ قد عاصر الشيخ عصر الفتن والإلحاد كما عبر عن ذلك في إحدى رسائله " لقد أصبح الإسلام أجنبيا وعاجزا لما تمكن الكفار من السلطة في زماننا و يسخر من الإسلام والمسلمين. تمارس وصايا الكفر علنا في حين يضطر المسلمون إلى عدم القيام بأوامر الدين بل يعاقبون على ذلك من قبل الحكام"[4]

ولا يمكن الإعتراف بجهودالشيخ فی بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة إلا إذ نتعرض لذلك الإضطراب الفكري و الفوضى العقدية التي ظهرت وانتشرت في الهند والبلدان المجاورة في العصر الذي عاش فيه الشيخ احمد السرهندی. و لقد أدت العوامل الكثيرة لتعرض هذه المنطقة لأنواع من الإنحرافات العقدية من أهمها:

أ: بعد الهند عن مركز الإسلام الديني والثقافي

ب: عدم الإعتناء بنشر العلوم الشرعية على يد الحكام

ج: بقاء أقلية المسلمين مغمورة في اكثرية غيرإسلامية

د: ظهور و تأثير الدعوات الهدامة والفرق الضالة المتطرفة في الإيران و من هناك إلى بعض المناطق الهند الجنوبية وفي الكشمير۔

وكان في مقدمة هذه الفرق التشيع المتطرف و إدعاءات النبوة بل في بعض الأحيان إدعاءات الألوهية و فكرة ألفية سوف نذكر بعض هذه الحركات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

النقطوية ظهرت هذه الحركة في أستر آباد في الإيران على يد محمود البسيخواني في اوائل القرن التاسع و ظلت تنمو حتى بلغ أتباعها الآلاف وأثرت تأثيرا كبيرا في الإيران و وصلت أيضا في الهند و كانت عقائدهم عبارة عن الإلحاد والزندقة و الإباحة إذ اعتقدوا بقدم العالم وأنكروا الحشر والنشور بمفهومها الإسلامي وقالوا بالتناسخ واعتقدوا أن القرآن من

كلام النبي و أن الأحكام الشرعية هي آراء الرجال. فكانوا يستهزؤن بالصلاة والحج و الأضحية و الصيام و أحكام الطهارة والغسل و أنكروا حرمة النساء المحرمات. وكان أساس عقيدة بسيخوان أن الدين الإسلامي أصبح منسوخا و أن الإسلام قدقضى عمره بمرور ألف سنة و أن المدة ما بين نشأة الأرض وظهور البسيخواني ثمانية ألف سنة كانت النبوة محصورة في العرب وأن بعد ظهوره انتهت السيادة العربية فلا يبعث نبي إلا في الشعوب العجمية. وحينما قام شاه عباس الصفوي بالتنكيل و التقتيل و التشريد لأتباء هذه الفرقة نظرا لضررهم فر كثير منهم إلى الهند. و كان لهذه الفكرة األفية أثر كبير في الهند و الذي تمهد لمزيد من الحركات الضالة المنحرفة.[5]

منها "حركة ذكرية"التي كانت قائمة على عقيدة إنتهاء نبوة محمدﷺعند إنتهاء الألف الأول من الهجرة و بداية نبوة جديدة لبداية الألف الثاني وقد ظهرت هذه الحركة على يد ملامحمد أتكى والذي إدعى النبوة وأنه من أفضل الأنبياء وخاتم النبيين. و كتب هذه االفرقة تحتوى على العبارات الصريحة التي تدل على عقائدهم المتطرفة والتي عبارة عن الإفتراء والباطل على الله ورسوله و ابتدعوا كلمة جديدة و بدأوا يحجون حج خاص بهم في جبل مراد بدل حج بيت الله و كانت هذه الحركة سائدة في بعض مناطق بلوجستان ومازالت أقلية من هذه الطائفة موجودة في أنحاء هذ الجبل الذي جعلوه قبلة لهم في بلوجستان.[6]

و ظهرت أيضا الفرقة الروشنائية التي أسسها بايزيد والذي كان يسمي نفسه بير روشن و كان قد إدعى النبوة وكان يدعى أن جبريل ينزل عليه و كان يعتقد بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح وأنكر إستقبال القبلة فى الصلاة والطهارة وكان الهندوس أيضا من مريديه و سمح لهم أن يعبدوا بطريقتهم.[7]

وخاصة ما قام به الملك الأكبر نفسه بإنشاءدين جديد, وبدأ فى سنة1575 بإنشاء مركز فى فتحبور سكرى والذى سماه عبادت خانه أي دار العبادة والذي كان فى رأيه مركزا للحوار والتقريب بين الآراء المختلفة و توحيد الإسلام على مذهب واحد ولكن النتيجة كانت عكس ذلك.إذ كان العلماء الذين يجتمعون فى هذاالمركز يختلفون و كان النقاش يؤدى إلى إثارة مزيد من الإختلاف وكان فى هذاالجوء من الإختلاف أن أمكن الإمبراطور بتوقيع من العلماء الذين كانوا يجتمعون في هذاالمركز أن يصدر الإعلان بكونه "الإمام العادل" الذي يجمع بين السلطة الزمنية و السلطة الروحية الدينية و هكذا تمهد الملك لإنشاء دينه الجديد الذى كان بزعمه سوف يجمع بين الأديان والأفكار ليقل الخلاف بين رعاياه.[8]

وسمى الملك أكبر هذا الدين الجديد "دين إلهى" و فرض على أتباعه أن يؤمنوا بأن أكبر هو خليفة الله على الأرض و أن يقدس الملك و أن يقدم له أتباعه كل ما يملكون من ثروة وحياة وشرف ودين و ان يسجدوا للملك و كان من طقوس هذا الدين الجديد المزعوم تقديس الشمس والنار ومنع من أكل لحم البقرة وما إلى ذلك من خرافات كثيرة. وكما هو يظهر من طقوس هذاالدين و شعائره أنه كان يتمثل فى الأفكار المأخوذة من هنا وهناك و كان هذاادين عبارة عن تلفيق عناصر مختلفة بل متناقضة وكان من سوء حظ بعض الأمراء والذين كانوا من حوله انهم اعتنقوه. ولم يبقى الأمر قاصرا على معتنقى هذا الإلحاد فقط بل بدأ الملك بالإدعات الباطلة فبعد أنه كان يرى نفسه خليفة الله بدأ يدعى الألوهية. وقد جمع حوله نفر من

الدهريين والملاحدة والحوليين من كل مكان يساعدونه في إدعاته الباطلة. و لم يقفوا بهذه الإدعات فقط بل بدأوا يسخرون من شعائر الإسلام و المسلمين و المؤرخين المعاصرين أوردوا كثيرا من التفاصيل في بيان هذاالإلحاد. ومن الأمور المسجلة لهذه الحركة الأكبرية التي تدل على الإنحراف والتحول على يد أبو الفضل والذى كان وزيرا للملك و كان له دور كبير في تكوين وتطوير هذا الإلحاد الأكبري: عبادة النار, عبادة الشمس, السجود للملك, التقويم الإلهي الجديد و الإهتمام بالأعياد و المهرجانات غير الإسلامية,إلغاء الزكوة, إنكار المعجزات والإسراء والمعراج و استنكار الختان, المنع من الصلاة والإستهزاء بأركان الإسلام و فرائضه.[9]

بالإضافة إلى هذه الحركات الضالة نجد أن التصوف في الهند كان قد أصبح خليطا من الشريعة و الفلسفة والسنة واليوكا.وظهرت بعض الطرق الصوفية التي كانت تجمع بين طرق اليوكاوالأذكارالإسلامية وبعضهاكانت أقرب إلى المرتاضين اليوكيين مماكانت من الإسلام وأمثلة ذلك كثيرة منهاالصوفية الغيرالمتشرعة مثل الجلالية والمدارية والملنكية.ويمكن الإطلاع على مدى تأثير الفلسفات و الممارسات الهندية من خلال بعض الكتب الصوفية التي ظهرت في ذلك العصرفمثلاكتاب "جواهر خمسة" و "بحر الحياة" لمحمد غوث كواليارى تدل على مزج الأفكار الهندية بالتصوف الإسلامي. وكان الشيخ قد أدرك هذه الأخطاء الفكرية و العقدية وعبر عن ذلك قائلا: لقد كثر البدع و المحدثات حتى ليخيل للناظر أن بحرا من الظلمات تتلاطم أمواجه.

جهود الشيخ في بيان العقيدة الصحيحة:

و اهتم الشيخ ببيان العقيدة السليمة خاصة في الأمور التي مازالت موضع خلاف و نقاش بين الفرق المختلفة من الصوفية والمتكلمين من خلال رسائله منها:

رد الروافض،المبداوالمعاد،رسائلة تهليلية،مكاشفات غيبية،رسالة في إثبات النبوة،آداب المريدين،شرح رباعيات أستاذه خواجه باقي بالله،واشهرآثاره الفكرية مجموعة رسائله المعروفة بإسم "مكتوبات" التي أرسلها إلى تلاميذه و مريديه و إلى بعض الشخصيات من العلماء و الأمراء والصوفية. وعدد هذه الرسائل 536

وفي ما يلي نبذة عن أهم ما قدمه الشيخ في بيان العقيدة السليمة:

أ: إصلاح فكرة التوحيد و تنقيتها من شوائب الحلول و الإتحاد:

لعل من اهم ما قدمه ألشيخ في مجال العقيدة هو إصلاح فكرة التوحيد و تنقيتها من شوائب الحلول و الإتحاد و من الجدير بالذكر أن الفكر الصوفي في شبه القارة قد ظل يتأرجح بين فكرة الحلول و وحدةالوجود على مر القرون قبل الشيخ. بالإضافة إلى ذلك شاعت الاستعارات الهندوسية والممارسات اليوجية مثل تمارين التنفس ''برانايا ما" وطرق العبادة "أسانا"كانت قد أصبحت أرضية مشتركة في التصوف الإسلامي واليوجاالهندوسية آنذلك.والذي أدى إلى الخلط بين مفهوم التوحيد الإسلامي الخالص و بين فكرة الإتحاد والحلول. ومع أن الشيخ اتصل منذ شبابه بكثير من الطرق الصوفية و خاصة الطريقة النقشبندية فقد قام بإصلاح التصوف ولاسيما النزعات و الأفكار الصوفية القائلة بوحدة الوجود. وذلك لأن الكثير من الصوفية في عصره تأثروا

بالأفكار الهندوسية وأخذوا الكثير من عقائدهم وممارساتهم وشاعت بينهم الأفكار الخاطئة مثل وحدة الوجود والحلول والإتحاد فركز الشيخ على تفنيد هذه الآ راء والرد عليهاو خاصة ناقش آراء محي الدين بن العربي في وحدة الوجود و رسائل الشيخ ومكتوباته مليئة بأدلته التى تهاجم فكرة وحدة الوجود وقد أمكن للشيخ أن يحارب تلك الأفكار الصوفية من خلال تجاربه الذاتية إذنادى الشيخ بفكرة وحدة الشهود والتي أمكن الشيخ من خلاله أن ينقي الفكر الصوفي من كثير من الأخطاء العقدية في الإعتقاد عن الله سبحانه وتعالى۔

و قد بين من خلال تجاربه الروحية أن التوحيد الذي يظهر في أثناء الطريق الصوفي إنما يكون عبارة عن تجربة علم اليقين و أنه هناك فرق بين العلم اليقين وعين اليقين و قسم هذه التجربة إلى قسمين: توحيد وجودي وتوحيد شهودي و أن التوحيد الوجودي هوأن يعلم السالك ويعتقد ان الموجود واحدا و يعتقد أن غيره معدوما أما التوحيد الشهودي هو مشاهدة الواحد يعني لا يكون مشهود السالك غير واحد أو انه لا يشهد أحداسواهت و يبرهن على هذه التفرقة من خلال أمثلة كثيرة وتجاربه الروحية و يستنتج من خلاله القول بأن التوحيد الرجودي إن هو إلا عبارة عن الحيرة.[10]

و كان يرى الشيخ أن الذي جعله يتحدث في مثل هذه الأمور الغامضة هو"أن أكثر أبناء هذاالزمان قد تمسك بذيل التوحيد الوجودي بعضهم بالتقليد وبعضهم بمجرد العلم و بعضهم بالعلم الممزوج بالذوق و لو في الجملة و بعضهم بالإلحاد و الزندقة و صاروا يرون الكل من الحق بل يرون الكل حقا والذي يؤدي إلى القول بأن الكفر والإسلام لا فرق بينهما و استدل الشيخ على هذاالقول من خلال تجربته الذاتية إذ يبين في إحدر رسائله بأنه كان قد تربي على نفس الفكة القائلة بوحدة الوجود وأنه كان يعتقد بذلك إلى أن أدرك خطورة هذاالقول و أنه كان لديه مثل هذه الأفكارو قد عبر عن ذلك في بعض رسائله التي أرسلها إلى شيخه في بعض الابيات التي هو يسميها كلمات السكر:

أي دريغا كاين شريعت ملت اعماء يست ملة ما كافرى و ملة ترساء يست

كفر و إيمان زلف و روي آن برى زيباء يست كفر و إيمان هردو أندر راه ما يكتاءيست"[11]

و بعد ان كان يعتقد بهذاالقول هداه الله سبحانه و تعالى وعرف من خلال ما يسميه المعرفة اللدنية أن نسبة الوحدة للصانع مع العالم ليست ثابتة فيقول: "هو تعالى ليس بمتحد بشئ من الاشياء هو هو تعالى وتقدس والعالم عالم, و هو تعالى منزه عن الكيف و الكيفيات و العالم متسم بميسم الكيف..... ولايمكن أن يقال ان المنزه عن الكيف عين المكيف بالكيف وأن الواجب عين الممكن ولا يكون القديم عين الحادث و ممتنع العدم عين جائز العدم أصلا."[12]

و من خلال هذا الإستدلال يبرهن على أن إنقلاب الحقائق محال عقلا و شرعا ومع أن العالم مظهر و مرآة للكمالات الأسماء و الصفات و لكن المظهر ليس عين الظاهر و الظل ليس نفس الأصل بالإضافة إلى إصلاح الفكر الصوفي قام الشيخ أحمد بنقد العقائد و الممارسات التلفيقية السائدة آنذاك وأشار إلى أنه من الضروري إتاحة مجال كاف للإصلاح لأن الأفكارالخاطئة قد أصبحت منتشرة في عامة الناس و خاصتهم. واتجه الشيخ بإصلاح الأفكارالتلفيقية فيما يتعلق بفكرة الألوهية بين المسلمين والهندوس و اعترض على المفكرين الهندوس القائلين بأن رام و رحيم. فهو لا ينتقد فقط النزعات التوفيقية الشائعة بين

المسلمين، بل ينتقد أيضا التفسيرات التوافقية. وكانت مواقفه مؤثرة جدا في فى بيان العقيدة الصحيحة وإحياء الإسلام في شبه القارة الهندية. واختار الشيخ منهج خاصا في بيان العقيدة السليمة فبدأ بكتابة الرسائل إلى العلماء و الأمراء والصوفية و ذلك بمقتضى عصره ونظرا لظروفه الخاصة به. و من خصائص منهج الشيخ في عرض العقيدة الاسلامية على الهندوس بأسلوب الحوار فمثلا الرسالة التي أرسلها إلى واحد هندوسي تدل على فهمه للعقائد الهندوسية و مناقشتها بأسلوب علمي خاص بالشيخ والذي قد لانجد نظيره عند علماء عصره في بيان العقيدة الصحيحة وعرضه على الكفار و هاهنا أورد جزء هذه الرسالة القيمة: "ان ربناوربكم رب العالمين من السموت و الأرضين و العلويين والسفليين واحد ليس كمثله شئ منزه عن الشبه والمثال مبرأ عن الشكل و كل ما يمر على الخيال و كل من الأبوة و البنوة في حقه محال و ليس للكفاءة و التمثال في حضرته مجال "[13]

و هكذا يفسر له أن الله تعالى ليس بزماني فإن الزمان مخلوقه و ليس بمكاني لأن المكان من صنعه تعالى و بعد ان يشرح العقيدة الاسلامية في الإله يبين الأخطاء الموجودة لدى الهنود و يقول:"ورام وكرشن و أمثالهما من آلهة الهنود كلها من أحقر مخلوقاته....فإن رام ولد جسرت و أخو لكهمن و زوج سيتا فإذا كان رام غير قادر على حفظ زوجته فكيف يستطيع أن يساعد الغير".

ب:عناية الشيخ بإثبات النبوة والرسالة :

ولعل من أهم ما قدمه الشيخ بعد إصلاح العقيدة تجاه الخالق هوبيان عقيدة الرسالة و اهمية الغعتقاد بالنبي الخاتم عليه أفضل الصلوات والتحيات فقام بترسيخ جذورالعقيدة بخلود الرسالة المحمدية في الوقت الذي ظهرت فيه الحركات النقطوية والذكرية التي كانت تنادي بأن عهد النبوة المحمدية قد انقضى و أنه بمرور ألف سنة انقرضت فترة الرسالة المحمدية. وكانت هذه الفكرة قد أثرت على أكبر الذي جآء بدينه الجديد للألف الجديدة.

ومن خصائص منهج الشيخ الإهتمام بإصلاح شأن الحكومة و رجالها إذ أدرك الشيخ أن الأمراء والملوك قدوة إذا صلحواصلحت الرعية و إذا فسدوا فسد المجتمع[14] الذى يقومون على شؤنه وكان بالفعل العصر الذى عاش الشيخ هوعصر الإلحاد والفتن. فنجد أن الوزير أبو الفضل وأصحابه من الفلاسفة كانوايرون بعد الضرورة إلى النبي و كان الشيخ حينما قابل أبو الفضل و أخوه فيضى و تحدث معه في بعض النكات في التفسير "سواطع الألهام"[15] وجد أبو الفضل لا يرى بأن النبوة ضرورية و أن هذاالأمر شائع بين كثيرمن أصحابه اخذ يناقشه فى هذاالامر بالشدة ولذلك نجد أنه عنى عناية كبيرة بعقيدة النبوة و أرسل كثير من مكتوباته إلى العلماء و الأمراء في بيان عقيدةالنبوة عموما و بيان عقيدة ختم النبوة خصوصا وكذلك ألف كتابا في إثبات النبوة.

واتجه الإمام بنقد الفلاسفة و الإشراقيين الذين كانوا يدعون المعارف و الكمالات و بين أنه لا طريق إلى هذه الحقائق و المعارف إلا عن طريق أنبياء الله وكان نقده لهم نقدا علميا موضوعيا وبين أن المصدر الأساسي للعلم القطعي ليست التأملات العقلية و لا النور الباطني والمشاهدات والكشوفات بل أنبياء الله ووحيه المنزل فيقول فى إحدى رسائله:

"إذا كان العقل يكفي للمعرفة الإلهية لما كان فلاسفة اليونان الذين جعلوا العقل إمامهم و قائدهم حيارى تائهين في الضلال و لكانوا اعلم بالله و أعرف به عن غيرهم و الحال أنهم أجهل الناس لذات الله عز وجل وصفاته وأسمائه إذ أنهم يرون لله تعالى وجودا يتسم بالتعطل و البطالة و لايعتقدون أنه خلق شيئا سوى واحد هو العقل الفعال و قد كان صدوره من الله تعالى اضطرار لا عن قدرة و اختيار"[16]

ثم يبرهن على ضعف هذه المقولة الفلسفية و ايضا يتسائل انه كيف يجوز تلقيبهم بالحكماء و الإنقياد بهم إذ عجز هؤلاء بالإعتراف بالإله القادر المطلق وبالتالي يهدم دليل المنحرفين من الدين في عصره بإستنادهم بالفلاسفة. وأثبت على منكري النبوة بأن العقول عاجزة قاصرة بدون نور النبوة وأن طور النبوة و مرتبتها وراء العقل إذ الحقائق التي يعجز العقل عن إدراكها تأتي النبوة لتحقيقها و تثبيتها. ومع أن العقل حجة فهي ليست الحجة البالغة, إذ لا يصح بأن توزن الأحكام الشرعية في ميزان العقل و إن محاولة التطبيق بين العقل وبين الأحكام الشرعية و الإلتزام به دائما حكم بكفاية العقل و إنكار للنبوة.

د: نقد الفلاسفة والعقلانيين:

ولما عاش الشيخ العصر الذي تسود فيه العقلانية و كانت تصريحات الفلسفة اليونانية أصبحت تعتبر من القطعيات البديهيات توجه الشيخ بأسلوب علمي إلى نقد العقل الخالص و أحكامه و يرى أنه مهما وصل الإنسان من صفاء النفس وإشراق الروح فإن الأحكام العقلية تتأثر دائما بصلة هذا العقل بالجسم المادي وبالتالي لايمكن أصلا أن تكون أحكامه و نتائجه متحررة من قيود الوهم والخيال و تبقى موضع شك ولايتحقق فيها الصدق. كما أنه تناول موضوع الكشف الخالص و الإلهام الخالص و تبين أن صفاء التفس مرتبط بإتباع الأنبياء وأن الكشف لايورث اليقين والطمأنينة ما لم يرافقها الإيمان.

ه: الإمامة و موقف أهل السنة لدى الشيخ:

و كان يهتم الشيخ ببيان موقف أهل السنة و الجماعة والعقيدة الصحيحة فيما يتعلق بنظرية الإمامة و بتفضيل الخلفاء الراشدين و محبة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين و كان ذلك موضوعا لكثير من مكتوباته و ذلك نظرا لما شاء الخلاف فيما يتعلق بفكرة الإمامة في عصره وخاصة لما أدى إلى ذلك النفوذ الشيعي من الخلط فی مفهوم الإمامة, فأكد الشيخ بأنه من علامات أهل السنة و الجماعة تفضيل الشيخين و محبة الختنين إذ ثبت ذلك بإجماع الصحابة والتابعين فيقول فی إحدى مكتوباته: ''وتفضيل الشيخين ثابت بإجماع الصحابة و التابعين. كما نقل أكابر الأمة منهم الإمام الشافعي رحمه الله, وقال الشيخ أبوالحسن الأشعري,إن تفضيل ابي بكروعمررضي الله عنهماعلى سائرالأمة امرقطعي,وقدثبت عن علي كرم الله وجهه بالتواتر

أنه كان يقول دائما في زمن خلافته أمام الجم الغفير من الناس أن أبابكر وعمر أفضل هذه الأمة كما ذكره الذهبي"۔

وهكذايورد أقوالا كثيرة عن الصحابة والتابعين و يثبت أن القول بتفضيل الشيخين على سائرالصحابة قد بلغ من كثرة الرواة الثقات حد التواتر و إنكاره إن هو إلا الجهل والتعصب كما أنه يؤكد على أن محبة علي و أهل البيت أيضا جزء من التسنن.

تقييم جهود الشيخ و مكانته في مجال العقيدة وإصلاحها:

و أخيرا من الضروري جدا أن ننظر إلى الشيخ أحمد السرهندي و جهوده بنظرة التقدير و الإعتبار وذلك لما قام بدوره الإصلاحي في اللوقت الذي عم فيه الإنحرف العقدى على مستوى رجال الحكومة, فقام الشيخ بإعلاء كلمة الحق أمام الملك أكبرو الذي كان زعيما لأكبر فتنة إلحادية في تاريخ الإسلام و ذلك لأنه كان ملكا فلم يكن من عامة الناس حتى يقبض عليه بل نفسه كان صاحب الأمر و على العكس فإنه تمكن بإقناء الآخرين للدخول في هرطقته الأكبرية التي كانت قائمة على رفض جميع العقائد الإسلامية من التوحيد والنبوة والسمعيات و تدعو إلى كثير من العقائد والممارسات مثل عبادة الشمس والناروما إلى ذلك من أمور تنافى العقيدة الإسلامية والشريعة.

فقام الشيخ بنقد هذه الإدعات الباطلة وكان الأسلوب الذي إختاره الشيخ لبيان العقيدة الإسلامية يدل على أنه خطط لهذاالعمل الإصلاحي فبدأ بكتابة الرسائل إلى أصحاب السلطة والأمراء و العلماء في شأن بيان العقيدة والأخذ بالكتاب والسنة. وإنه لما لاحظ الإهتمام بالعلوم الفلسفية والعقلية قام ببيان عجز العقل الخالص و نقده. ومع أن الشيخ لم يترك مؤلفات مستقلة في جميع مباحث العقيدة فإن المتعمق في رسائله سوف يجد أن جل إهتما مه كانت القضايا العقدية التي كانت محورا للنقاش آنذاك بين الطوائف الصوفية أو الحركات الباطلة. فهذه الرسائل التي يبلغ عددها إلى خمسمائة وثلاثة و ستون بعضها موجهة إلى أصحاب السلطة والأخرى إلى العلماء و بعضها إلى أصحاب الآراء الخاطئة و يقوم الشيخ فيها ببيان موقف أهل السنة و الجماعة وأئمة السلف في أمور العقيدة ويجمع الشيخ بين أسلوب علمي و صوفي في شرح هذه الأمور العقدية.

واستمر الإمام طوال حياته في جهوده الإصلاحية من خلال التوجيه والإرشاد إلى ما كان الصحيح في الإعتقاد إلى أن تولى إبن الملك أكبر جهانكير أمور الدولة بعد وفات أبيه. و الذي أدى إلى إعتقاله ايضا و لكن ظل الشيخ يقوم بعمله الإصلاحى و هوكان في السجن وكان قد مكث سنتين أو أكثر في السجن يواصل دعوته إلى التمسك بالعقيدة السليمة تجاه الله و رسوله وأكد على اهمية إتباع السنة والشريعة,إلى أن أدرك الملك عن مكانته الدينية وسمعته الشريفة وحكم بأن يطلق سراحه لما بلغت إليه من احوال الشيخ و هو في السجن, إذ صار قطاع الطريق يصلون و يزكون نتيجة لتوجيه الشيخ وإرشادهم إلى الحق. الأمر الذي جعله يندم على قبض اشيخ و كان جهانكير قد أثر فيه موقف الإمام الحاسم فى رفض السجدة التعظيمية للملك من قبل.

و اخيرا من الواجب علي كطالبة علم أن اشير إلى النقد الذي وجه إلى الشيخ أيضا, فقد أخذ علي الشيخ في بعض مقولاته أثناء بيانه لبعض الأحوال والكشوف التى كانت عبارة عن تجربته الروحية في تكييف ما يسميه هو ب"عين اليقين" وكذلك اعترض عليه أنه تحدث عن مرتبته و مقامه مثل مرتبة أصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين وفيما تحدث في إحدى رسائله عن الحقيقة المحمدية و حقيقة الكعبة وما إلى ذلك من عبارات و تعبيرات, فيمكن الجواب عنها و عن مثلها بوجوه:

أ) بأن هذه العبارات تحمل على معظم كلامه والذي هو عبارة عن بيان العقيدة الصحيحة

ب) أنه لا يقصد بهذه العبارات عين المراد بها كما ذكر هو نفسه بأنه لا يذكر هذه الأحوال الخاصة إلا للمنفعة وهي إصلاح العقيدة تجاه المعبود وأنه لا يقصد من هذه الأحوال عين المراد

ت) أن كل هذه العبارات التي تعبر عن الكشف والأحوال لا بد و أن ينظر إليها بنظرة الشيخ و منهجه تجاه الأحوال فإن الشيخ نفسه كان يرى أنه مهما يبلغ الإنسان من الذوق و الكشف فإنه من الواجب عليه أن لا يخرج من إطار الرسالة فيؤخذ بما يوافق الوحي أي القرآن والسنة ويترك ما دونه.

الهوامش

---

[1] كان فاروقي الأصل وقد أورد نسبه بدر الدين السرهندى في كتابه "حضرات القدس"

[2] أبجد العلوم للصديق بن أحمد القنوجي دار الكتب العلمية, لبنان

[3] كشف الظنون لحاجى خليفة, ص 225

[4] أنظر مكتوب رقم الثالث والستون والمائ

[5] أنظر ما ذكره صاحب الكتاب "دبستان المذاهب" فيما يتعلق بأفكار هذه الطائفة ص300

[6] ومن بين الكتب المتداولة لهذه الفئة: شيخ عزيز لارى, سفرنامه مهدى, شاه محمد قندى, سيرجهانى, محمد إسحاق درزئى, ذكر إلهى, وتقوم بنشر هذه الكتب رابطتهم في كراتشي التي تعرف بآل باكستان مسلم ذكرى انجمن, كراتشي. "لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع انظر:

[7] Tariq Ahmed. Religio- Political Ferment in the North West Frontier During the Mughal Period, The Raushniyah Movement (Delhi: Idara e Adabiat,200)

[8] ولعل أهم ما ألف فيما يتعلق بدراسة الأفكار الدينية لدى أكبر هو كتاب خليق أحمد نظامى

Nizami, Khaliq Ahmed. *Akbar and Religion* (Delhi: Idara e Adabiyat, / Makhan Lal Roy Choudhury. *The Din e Ilahi or the Religion of Akbar* (New Delhi: Munshi Manohar Lal Press1952)

[9] عبد القادر بدايونى, منتخب التواريخ, جزء2, ص225

[10] انظر المكتوب الثالث و الاربعون، ص56

[11] المكتوب الحادي والثلاثون، ص 42

[12] نفس المكتوب

[13] المكتوب السابع و الستون والمائة إلى هردة رام

[14] المكتوب الرابع والأربعون إلى سيد فريد

[15] التفسير الذى ألفه فيفى واشترط أن يكون هذا التفسير بلا نقطة

[16] المكتوب رقم 23

